تفسير سورة الاعراف الحلقة ٩٩

ملخص :

لفقرات التالية تتحدث عن مفهوم التمسك بالدين والدين الإلهي كفطرة إنسانية. يتم التأكيد على أن الدين الصحيح لا يمكن أن يتعارض مع الفطرة الإنسانية، وأن أي جزء من الدين يخالف الفطرة لا يمكن أن يكون جزءًا منه. ويُظهر النص أن التمسك بالدين يعني تقويم الإنسان إلى فطرته السليمة.

ويتناول النص أيضاً أن الدين الإلهي يهتم بتنظيم وتصحيح جميع جوانب الإنسان، لا يقتصر على العبادة والصلاة فقط، بل يمتد لعلاقته بالله وبالمجتمع والأسرة والطبيعة والحكم وكل ما حوله. وهدف ذلك هو تحقيق العدالة والسعادة والاستقامة للناس.

يُشير النص إلى أن الكتاب المذكور في الآية هو التوراة والإنجيل، وأن التمسك بهما يعني التمسك بالقرآن الكريم أيضاً. كما يتطرق النص إلى مفهوم التمسك بالشيء المادي والمعنوي، ويوضح أن عدم العمل بتعاليم الشيء يعتبر تحريفاً له.

أخيراً، يتناول النص الجوانب المختلفة للإجبار في الدين، مُظهراً أنه قد يكون موجوداً لأغراض إصلاحية وتوجيهية، ولكنه لا يكون جبراً في الاعتقاد ولا يستمر بشكل دائم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ(١٧٠)**

**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٧١)**

الهَدَفُ مِنْ جَمِيعِ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيَّةِ هُوَ التَّرْبِيَةُ وَلَيْسَ قِرَاءَةِ الْقِصَصِ أَوْ نَقْلِ الْقِصَصِ أَوِ التَّسْلِيَةِ إِنَّمَا هُوَ الْهَدَفُ التَّرْبِيَةُ وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ فِي نُفُوسِ مَنْ يَأْتِي مِنْ الْأَجْيَالِ وَمَنْ يَسْتَمِعْ يَعْنِي الِاعْتِبَارِ بِالْقِصَصِ أَخِذَ الْعِبْرَةِ وَالْجَانِبِ التَّرْبَوِيِّ مِنَ الْقِصَّةِ وَالا فَإِنَّ الْقِصَّةَ لَوْحِدهَا لَا تَمْثُلُ هَدَفًا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

… الْآيَتَيْنِ، الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ذُكِرَ وَدُرِجَ عَلَى ذِكْرِ الْأَقْلِيَّةِ كَمَا يُذْكَرُ الْأَكْثَرِيَّةِ مَا ذُكِرَ فِي أَكْثَرِ قِصَصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُوَ الْعُنُادُ وَالْكُفْرُ وَالْجُحُودُ وَالْعُصْيَانُ وَالتَّجَاوُزُ وَهُنَا ذُكِرَتْ قِسْمًا آخَرَ وَهُمَّ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا تَمَسُّكًا حَقِيقِيًّا بِالْكِتَابِ وَالتَّوْرَاةِ وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُمَيِّ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ 'وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَل….'

… مَا أَنْزَلَ اللَّهُ التَّوْرَاةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَقْبَلُوهَا فَرَفَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَبَلَ طُورِ سِينَاءَ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى إِن لَمْ تَقْبَلُوا وَقَعَ عَلَيْكُمُ الْجَبَلَ فَقَبَلُوا وَطَأَطَئُوا رُءُوسَهُمْ يَعْنِي هَذِهِ الْمُعَجِزَةِ مِنْ أَجْلِ أَن يُؤْمِنُوا."

1. المفردات يَمْسَكُونَ: قَالَ فِي الْمُجْمَعِ امْسَكَ وَمَسَكَ وَتَمَسَّكَ وَاسْتَمَسَّكَ بِالشَّيْءِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ أَيْ اعْتَصَمَ بِالشَّيْءِ اعْتَصَمَ بِهِ هُوَ تَمَسَّكَ بِهِ أَوْ مَسَكَهُ. وَإِذْ نَتَقْنَا: إِنْ نَتَقَ قَلْعَ الشَّيْءِ مِنْ أَصْلِهِ "نَتَقْنَا الْجَبَلَ" قَلْعَنَا الْجَبَلَ مِنْ أَصْلِهِ رَفَعَ بِأَكْمَلِهِ. كَأَنَّهُ ظِلَّةً: الظِّلَّةُ هِيَ الْغَمَامَةُ وَمَا يَسْتَظْلُ بِهِ يَعْنِي صَارَ كَأَنَّهُ ظِلَالًا عَلَيْهِمْ.
2. البَيَانُ وَصَفَ التَّمْسَكَ بِالْكِتَابِ إِصْلَاحَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ "وَالَّذِينَ يَمْسَكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ" مَا هُوَ الرَّابِطُ بَيْنَ التَّمْسَكِ بِالْكِتَابِ وَالإِصْلَاحِ؟ هُنَا رَبَطَ بَيْنَهُمَا وَأَنَّ التَّمْسَكَ بِالْكِتَابِ هُوَ حَقِيقَةُ الإِصْلَاحِ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ الْفَسَادِ وَالْفَسَادُ هُوَ الِانْحِرَافُ عَنِ الْكِتَابِ عَنِ الْفِطْرَةِ وَالْكِتَابُ هُوَ الَّذِي يَدْعُو لِلْفِطْرَةِ وَيَحْمِلُ الإِنْسَانَ عَلَى الِالْتِزَامِ بِالْفِطْرَةِ فِي جَمِيعِ جَوَانِبِهَا كَمَا يَقُولُ تَعَالَى "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" إِذَا الإِصْلَاحُ هُوَ التَّمْسَكُ بِالدِّينِ يَعْنِي إِرْجَاعَ الإِنْسَانِ إِلَى فِطْرَتِهِ فَيَكُونُ مُسْتَقِيمًا هَذِهِ الِاِسْتِقَامَةُ هُوَ إِصْلَاحُ الإِنْسَانِ مَا يُوجَدُ مِنْ خَلَلٍ عِنْدَ الإِنْسَانِ بِالتَّمْسُكِ بِالْكِتَابِ يَقُومُهُ وَيُصْلِحُهُ فِي جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، لِمَاذَا خَصَصَ ذِكْرُ الصَّلَاةِ بَيْنَ الطَّاعَاتِ وَأَجْزَاءِ الدِّينِ؟ لِمَاذَا ذَكَرَ "وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ" وَخَصَّصَهَا؟ الْجَوَابُ: لَاهِمِيَّتِهَا وَرُكْنِيَّتِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَدِيَانِ فِي كُلِّ الْأَدِيَانِ الصَّلَاةُ رُكْنٌ وَأَسَاسٌ فِي الدِّينِ وَالصَّلَاةُ بِحَسَبِ الدِّينِ وَتَعْنِي فِي النَّتِيجَةِ هِيَ الرُّجُوعُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالدُّعَاءِ وَالِارْتِبَاطِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ نَسْتَفِيدُ مِنْ الْآيَاتِ مِنْ الْآيَتَيْنِ أَيْضًا
3.  أَنَّ الدِّينَ الْإِلَهِيَّ هُوَ فِطْرَةُ الإِنْسَانِ فَلا يَكُونُ الدِّينُ دِينًا صَحِيحًا لَوْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مُخَالِفٌ لِلْفِطْرَةِ. لِذَلِكَ إِذَا اسْتَطَاعَ شَخْصٌ أَنْ يَقُولَ أَنَّ هَذِهِ الْجُزْئِيَّةَ فِي الدِّينِ تُخَالِفُ فِطْرَةَ الإِنْسَانِ وَطَبِيعَةَ الإِنْسَانِ نَقُولُ هَذِهِ لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الدِّينِ وَمُخَالِفًا لِلْفِطْرَةِ. لِذَلِكَ التَّمَسُّكُ بِالدِّينِ هُوَ صَلاحٌ، إِصْلَاحٌ يَعْنِي تَقْوِيمَ الإِنْسَانِ إِلَى فِطْرَتِهِ السَّلِيمَةِ.
4.  الدِّينُ الإِلَهِيُّ هُوَ مَا يَضْمَنُ جَمِيعَ جَوَانِبِ الإِنْسَانِ أَوْ يُنْظِمُ وَيُصْلِحُ جَمِيعَ جَوَانِبِ الإِنْسَانِ إِصْلَاحًا لِجَمِيعِ جَوَانِبِ الإِنْسَانِ وَلَيْسَ جَانِبًا وَاحِدًا لَا يَرْتَبِطُ فَقَطْ بِالْعِبَادَةِ أَوْ بِالصَّلَاةِ وَإِنَّمَا هُوَ تَنْظِيمٌ وَإِصْلَاحٌ لِلإِنْسَانِ فِي عَلَاقَتِهِ بِرَبِّهِ وَإِصْلَاحٌ لَهُ فِي عَلَاقَتِهِ بِمُجْتَمَعِهِ وَبِأَسْرَتِهِ وَبِالطَّبِيعَةِ وَبِالْحُكْمِ وَبِكُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ حَتَّى يَكُونَ الإِنْسَانُ إِنْسَانًا مُسْتَقِيمًا. إِصْلَاحًا مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِ الإِنْسَانِ وَلَيْسَ جَانِبًا وَاحِدًا لَا يَرْتَبِطُ فَقَطْ بِالْعِبَادَةِ أَوْ بِالصَّلَاةِ وَإِنَّمَا هُوَ تَنْظِيمٌ وَإِصْلَاحٌ لِلإِنْسَانِ فِي عَلاقَتِهِ بِرَبِّهِ وَإِصْلَاحٌ لَهُ فِي عَلاقَتِهِ بِمُجْتَمَعِهِ وَبِأَسْرَتِهِ وَبِالطَّبِيعَةِ وَبِالْحُكْمِ وَبِكُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ حَتَّى يَكُونَ الإِنْسَانُ إِنْسَانًا مُسْتَقِيمًا، كَمَا يَقُولُ تَعَالَى "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ". الْهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ فِي عَدَالَةٍ وَسَعَادَةٍ وَاِسْتِقَامَةٍ وَصَلاحٍ يَقِيمُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ.
5.  مَا هُوَ الْكِتَابُ الْمَرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ الْجَوَابُ: قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّهُ الْقُرْآنُ. الْبَعْضُ قَالَ "الَّذِينَ يَمْسَكُونَ بِالْكِتَابِ" يَعْنِي يَتْمَسَّكُونَ بِالْقُرْآنِ لَهُ اتِّمَامٌ. وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّهُ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْيَهُودِ فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ فَلا يَكُونُ إِلَّا عَنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، نَقُولُ إِنَّهُ لَا تَعَارُضُ لِأَنَّ الَّذِينَ يَتْمَسَّكُونَ وَظَاهِرُهَا طَبَعًا هُوَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالتَّمَسُّكُ بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ بِالضُّرُورَةِ يَقْتَضِي التَّمَسُّكَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
6.  التَّمَسُّكُ بِالشَّيْءِ الْمَادِيِّ هُوَ الِالتِّصَاقُ بِهِ وَأَمَّا التَّمَسُّكُ بِالشَّيْءِ الْمَعْنَوِيِّ هُوَ الِالتِّزَامُ بِتَعَالِيمِهِ وَبِمَضْمُونِهِ الْمَعْنَوِيِّ. لِذَلِكَ وَصَفَ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ أَنَّهُمْ حَرَّفُوا الْقُرْآنَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ يَقُولُ: وَكَانَ مِنْ نَبَذِهِمُ الْكِتَابَ أَنْ أَقَامُوا حُرُوفَهُ وَحَرَّفُوا حُدُودَهُ، يَعْنِي زَخَرَفُوا الْقُرْآنَ جَاؤُوا بِالْقُرْآنِ جَعَلُوا لَهُ الْأَلْوَانَ وَمِثَلًا اخْتَيَارُ أَوْرَاقٍ مَعِينَةٍ جَمِيلَةٍ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ هَذَا هُوَ تَحْرِيفٌ. أَنْ يَتْمَسَّكَ بِظَاهِرِهِ الْقُرْآنِ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ هُوَ تَحْرِيفٌ وَمَنْ لَا يَتْمَسَّكُ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالتَّوْرَاةِ عَبَرَ عَنْهُ هُوَ مِثْلُهُ كَمَا يَقُولُ تَعَالَى "مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" يَعْنِي اخْتَرَقُوا الْقُرْآنَ وَزَخَرَفُوهُ وَحَمَلُوا الْقُرْآنَ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِهِ فَهُمْ كَالَّذِينَ وُضِعَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبُ عِنْدَمَا يُوضَعُ الْكِتَابُ عَلَى الدَّوَابِّ لَا تَعِي مَا هُوَ مَوْجُودٌ عَلَى ظُهُورِهَا.
7.  هَلْ هُنَاكَ إِجْبَارٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَأْخُذُوا بِالتَّوْرَاةِ؟ هَلْ هُنَاكَ إِجْبَارٌ؟ الْجَوَابُ: (أ) نَعَمْ، فِي لَحْظَةٍ مَا هُوَ إِجْبَارٌ كَالْمُعَجِّزَاتِ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَ الْهَدَفَ مِنْهَا فَتْحُ آفَاقِ النَّاسِ عِنْدَمَا جَاءَ مُوسَى بِالْحَيَّةِ وَتَحَوَّلَتْ إِلَى أَفْعَى قَلْبَتِ الْمَوَازِينَ هَكَذَا هُنَا أَيْضًا عِنْدَمَا ارْتَفَعَ الْجَبَلُ كَأَنَّهُ ضِلَّهُ جَعَلَ الرُّعْبَ فِي نُفُوسِهِمْ وَهَدَّهُمْ كَمَا فِي الرَّوَايَةِ الَّتِي قَرَأْنَاهَا فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ الْإِجْبَارِ وَلَكِنَّهُ إِجْبَارٌ أَنِيٌّ مِنْ أَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْتَبِهُوا وَيَفْتَحُوا آفَاقَهُمْ وَعُقُولَهُمْ لِأَنَّهُمْ ارْتَبَطُوا بِالْمَادَّةِ ارْتِبَاطًا كَثِيرًا فَيَحْتَاجُونَ إِلَى صَاعِقَةٍ قَوِيَّةٍ كَمَا أَنَّهُ مِثَلًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَمْرَضُ الإِنْسَانُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى دِينِهِ إِذَا مَرِضَ وَوَجَدَ نَفْسَهُ مَرِيضًا يَنْتَبِهُ؛ (ب) الْإِجْبَارُ لَا يَكُونُ فِي الْاِعْتِقَادِ، هُنَا قُلْنَا بِالْإِجْبَارِ لَا نَعْنِي أَنَّهُ جَبْرًا فِي اعْتِقَادِهِ الْقَلْبِيِّ وَإِنَّمَا ضَغَطَ عَلَيْهِ لِيَتَفَكَّرَ فَقَطْ؛ (ج) الْإِجْبَارُ عَلَى تَقْوِيمِ سُلُوكِيِّ الْخَارِجِيِّ إِذَا افْتَرَضْنَا أَنَّهُ فِيهِ إِجْبَارٌ لِإِصْلَاحِ سُلُوكِهِمْ الْخَارِجِيِّ وَعَدَمِ الْعُنُوفِ فَهَذَا لَا يَضُرُّ أَيْضًا الْجَبْرُ عَلَى تَقْوِيمِ السُّلُوكِ لَا يَضُرُّ؛ (د) إِنَّ هَذَا هُوَ شَيْءٌ أَنِيٌّ فَقَطْ وَيَعُودُ الشَّخْصُ لِاِخْتِيَارِهِ يَعْنِي يَبْدَأُ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الْإِجْبَارِ لِيَنْتَبِهَ فَقَطْ وَيَخْتَارُ ثُمَّ يَعُودُ اخْتِيَارُهُ لَيْسَ مُسْتَمِرًّا يَعْنِي حَتَّى هَذِهِ الْمُعَجَّزَةِ وَرَفْعِ الْجَبَلِ إِنَّمَا هُوَ أَنِيٌّ ثُمَّ يَعُودُ النَّاسُ لِاِخْتِيَارِهِمْ وَيَخْتَارُونَ مَا يُرِيدُونَ.
8.  كَيْفَ قَلَعَ الْجَبَلُ وَرَفَعَ؟ الْحَوَابِ: قِيلَ رَفَعَ وَقَلَعَ بِإِعْجَازٍ رَبَّانِيٍّ فَرَفَعَ عَلَيْهِم بِالْمُعَجَّزَةِ فَلَمَّا هَدَّدُوا وَتَمَسَّكُوا وَأَعْلَنُوا وَتَعَهَّدُوا أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِالتَّوْرَاةِ وَضَعَ مَوْضِعَهُ، وَقِيلَ وَقَعَ زَلْزَالٌ وَكَانُوا هُمْ فِي سُفُحِ الْجَبَلِ...

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين